

سيفيات المتنبي

نثر السمر ، قول في أبي الطيب

قال ابن أبي الحديد صاحب الشرح الكبير (للمهجر) في كتابه : (الفلك الدائر على المثل السائر^(١)) : « كنت شرعت في حل (سيفيات المتنبي) لشهرتها وغلبتها على السنة الناس ، وأن أجعل ذلك كتاباً مفرداً أنقرب به الى الخزانة الشريفة^(٢) — عمرها الله تعالى — فخرج بعضه ، وصدف عن إتمامه عوائق الوقت وشواغله » .
فهل أكمل ابن أبي الحديد هذا الكتاب ؟ وأين هو ؟

إن كان الزمان — وقد كان — قد أضاعه فإنه أبقى بقية منه . وفيها الدليل عليه ، وأنا مورد اليوم في (مجلة الجمع) منتقاها طرفة أدب لأدباء العرب ، وإعلاماً ان احمد بن الحسين قد شغل حكيماً وعالماً متكلماً مثل (ابن أبي الحديد) كما شغل الأدباء واللغويين وغيرهم : فأديب نقده ، وأغوي شرحه ، ومؤرخ كتب سيرته ، وعالم نثر شعره او حل نظمه ، وآخر جمع حكيمته . وانها لسعادة ما نال مثلاً شاعر ، وما اسعد (احمد) الا عبقرته ، والعبقري في الدنيا شقي وسعيد .

وحل النظم من أفانين الادب في التقديم ، وقد دفع اليه الكتاب حين اتسع مجال الانشاء . وربما كان الجاحظ من اوائل من نثروا الشعر ، واستعانوا في كلامهم بقويض القارضين . روى عبد القاهر في (دلائل الاعجاز) هذه الرسالة للجاحظ الى ابن الزيات وقال : إنه نثر قول نصيب :

(١) مطبوع في الهند (٢) خزانة الكتب للخلافة العباسية في بغداد .

فماجوا فائتوا بالذبي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب .
قال الجاحظ : « نحن (أعزك الله) نسحر بالبيان ، ونموه بالقول ، والناس ينظرون
الى الحال ، ويقضون بالعيان . فأثر في أمرنا اثرا ينطق اذا سكتنا ، فان المدعي بغير
بينة متعرض للتكذيب »

وروى بعضهم : « نظر ابو تمام الى سليمان بن وهب وقد كتب كتابا فقال :
كلامك ذوب شعري »

وفي (كتاب الصناعتين) لابي هلال العسكري . « سمع بعض الكتاب قول نصيب
(فعاجوا البيت) فكتب : لو امسك لساني عن شكرك لنطق علي أثرك . وفي
فصل آخر : ولو جحدتك احسانك لا كذبتني آثاره ، ونمت علي شواهدة . وقريب من
ذلك قولهم : شهادات الاحوال أعظم من شهادات الرجال »

وفي (كتاب الصناعتين) « قال بعضهم : الكتابة نقض الشعر . وقيل للعتابي :
بم قدرت على البلاغة ؟ قال : بجل معقود الكلام »

ولابي منصور الثعالبي كتاب سماه (نثر النظم ، وحل العقد ^(١)) نثر الكتاب
المترجم ب (مؤنس الادباء) وهو مختار صغير من الشعر . وقد تقدم اليه في حله
(ابو العباس خوارزم شاه) كما ذكر الثعالبي ذلك في ديباجة الكتاب .

ولضياء الدين بن الاثير صاحب (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر) كتاب
في هذا المعنى اسمه (الرشي المرقوم في حل المنظوم ^(٢)) وفيه أيضا حل لآيات قرآنية
واخبار نبوية . قال ابن خلكان : « وهو مع وجازته في غابة الحسن والافادة » قال
ابن الاثير في هذا الكتاب : « و كنت حفظت من الاشعار القديمة والحديثة ما لا احصيه
كثرة ثم اقتصرت بعد ذلك على شعر الطائيين : حبيب بن اوس ، وابي عبادة البحرري ،
وشعر ابي الطيب المتنبي . حفظت هذه الدواوين الثلاثة ، و كنت أكرر عليها بالدرس
مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الادمان لي خلقا وطبعاً . وانما ذكرت

(١) منه مخطوطة في (الخزانة الظاهرية) في دمشق ، وقد طبع في مصر . (٢) منه
مخطوطة في دار الكتب المصرية .

م (٤)

هذا الفصل في معرض أن المنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في التوصل حل المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعات .

والتعويل كل التعويل على ما يقول ابن الاثير ، فيه - عندي - من الضرر ما فيه ، وشرح هذه المضرة - ان اردناه - بطول ، ولسنا الآن في مقام تبينها . واستظهار الاسطر وكلام العرب إنما هو للظفر بالملكة والاهتداء الى الاسلوب العربي ثم الكاتب وبراعته في التوليد والاختراع والابداع ، وابن الحر المدع في القديم والحديث اين ؟ وحل الابيات الشعرية ينقسم عند ابن الاثير الى ثلاثة اقسام ذكرها في (مثله السائر) : (الأول) منها وهو ادناها مرتبة بان يأخذ الناثر بيتا من الشعر فينثره بلفظه من غير زيادة ، وهذا عيب فاحش ، ومثاله كمن اخذ عقداً قد اتقن نظمه ، واحسن تأليفه ، فأوهاه وبدده . وأيضا فانه اذا نثر الشعر بلفظه كان صاحبه مشهور السرقة فيقال : هذا شعر فلان بعينه لكون الفاظه باقية لم يتغير فيها شيء .

واما (القسم الثاني) فهو أن ينثر المعنى المنظوم ببعض الفاظه ، ويعبر عن البعض بالفاظ آخر . وهناك تظهر الصنعة في المماثلة والمشابهة ومؤاخاة الالفاظ الباقية بالالفاظ المرشحة .

واما (القسم الثالث) وهو أعلى من القسمين الاولين فهو أن يؤخذ المعنى فيصاغ بالفاظ غير الفاظه وشم يتبين حذق الصانع في صياغته ، فان استطاع الزيادة على ذلك المعنى فنلك الدرجة العالية . والأحسن التصرف ، واتقن التأليف ليكون أولى بذلك المعنى من صاحبه الأول .

وقال (ضياء الدين) في التدريب على الحل :

« من أحب أن يكون كاتباً أو كان عنده طبع مجيب فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك ، ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته . وطريقه أن يبتدئ فيأخذ قصيدة من القصائد فينثر بيتاً بيتاً على التوالي ، ولا يستنكف في الابتداء أن ينثر الشعر بالفاظه أو بأكثرها فانه لا يستطيع الا ذلك ، واذا مرتت نفسه ، وتدرب خاطره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده ثم يرتفع عن ذلك حتى يكسوه ضرباً من العبارات المختلفة . وحينئذ يحصل لخاطره مباشرة المعاني

لقاح فيستنتج منها معاني غير تلك المعاني ، وسبيله أن يكثر الادمان ليلا ونهارا ، ولا يزال على ذلك مدة طويلة حتى تصير له ملكة . فاذا كتب كتابا ، أو خطب خطبة تدفقت المعاني في أثناء كلامه ، وجاءت الفاظه معسولة لا مفسولة ، وكان عليها حدة حتى تكاد ترقص رقصا . «

* * *

سيفيات المثني ، هل أبيات منها لابن أبي الحديد

فصل في التهنئة بعيد

لا زالت المواسم تغشاك وأغصانها وربقة وحدائقها أنيقة ، والأعياد تلتقاك وأنت عيدها على الحقيقة ، ولا برحت تهنصر من الشباب لدنا رطيبا ، وتنصو من الأعياد سملا ، وتلبس قشيبا . فهذا اليوم الشريف في الأيام مثلك في الانام ، لكنه أوحدهم محصور ، وأنت أوحدهم الأعوام والدهور . ولا أحيل ذلك على محض الجدد الذي يمز بين اليومين ، وفضل إحدى العينين بل على الجدد الذي أمهرك وحاسدك راقدا ، وشانئك قاعدا .

هذا محلول قوله :

• هنيئاً لك العيد الذي أنت عيده	• وعيد لمن سمي وضعي وعيدا .
• ولا زالت الأعياد لبسك بعده	• تسل محروقاً وتعطي مجددا .
• فذا اليوم في الأيام مثلك في الوري	• كما كنت فيهم أوحداً كان أوحدا .
• هو الجدد حتى تفضل العين أختها	• وحتى يكون اليوم لليوم سيدي .

وقد زدت عليه بأن جعلت توحيدته بالاستحقاق لا بالجد والانفاق ، وفيه زيادة أخرى وهي عموم توحيدته وخصوص توحيد العيد في أيام العام .

* * *

فصل في ذكر المراسلة

وتوالت منهم رسائل جعلوها عليهم أدراجاً ، وفضلوا بها تزجية الوقت ودفاعاً ،

فظاهرهما الاعظام لنا والإجلال ، وباطنها الأرجاء لهم والإمهال .
هذا محلول قوله :

• دروع لملك الروم هذي الرسائل يرد بها عن نفسه ويشاغل
• هي الزرد الضايغ عليه ، ولفظها عليك ثناءً سابغٌ وفضائل

فصل

بابه المصمور كعبة الحيا ، ومضاطب السفا ، فالملوك ثقبيل بساط دبرانه ، ونقصر
عن ثقبيل كنه وبنانه .
هذا محلول قوله :

• ثقبيل أفواه الملوك بساطه وبكبر عنها كنه وبزاجمه .^(١)

فصل

أنا أتمدبك عليك ، فالخصومة فيك ومنك واليك ، وأستميحك عدل قضائك
الذي عم الخلق وعداني ، وشمل الناس وتخطاني ، وأعيد مرآة فكرك وهو الجوهر
الشريف ، والشفاف اللطيف أن يظهر فيها تلبيس الحامد وبيبتان الكاشح المعاند ،
وأخلاقك التي نظلم إذا قبست في اللطافة بالسلافة ، وفي الصفاء بالصهبا ، أن تحمل قذى
الغش الصراح ، وهي أطف من أن تمزج بالماء القراح .
هذا محلول قوله :

• يا أعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
• وقول غيره :

(١) البرجمة المفصل الظاهر أو الباطن من الأصابع ، الجمع : بواجم .

أخلاقك الغرُّ الصفايا ما لها حملت قذى الواشين وهي سلاف ؟
واللبس في مكنون رأبك ماله يخفى وأنت الجواهر الشفاف ؟

* * *

فصل

العادة طبيعة غالبية ، وسجية الى فعل المعتاد جاذبة ، وعاداتك الطعن في الأحداق
وضرب الأعناق ، فاجر منها على اعراقك ، ومعهود عوائدك وأخلاقك ؟ فإن الملك
لا تثبت دعائمه حتى تخضب بالدم صوارمه .
هذا محلول قوله :

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادة سيف الدولة الطعن في العدى .
وقوله :

لابسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراقَ على جوانبه الدم .

* * *

فصل في صفة السيوف

فنهدينا اليهم وفي أبدينا النار الموقدة في الرؤوس ، والمعبودة قبل ملة الجوس التي لا
يفسدها الماء ، ولا يطفئها الهواء ، ولا تحرق الأغماد ، ولا خمدت ليلة الميلاد . ترمي بالدم
لا بالشرر ، وتوقد بالناس لا بالحجر ، تحكم نارةً بالتعظيم وتارةً بالتصغير ، وتجمع
قومًا جمع السلامة وقومًا جمع التكسير .

هذا محلول قوله :

وفي أكنفهم النار التي عبت قبل الجوس ، الى ذا اليوم تضطرم .
هندية ، إن تصغر معشرًا صفروا بجدها أو تعظم معشرًا عظموا .
وقد زدت عليها زيادات كثيرة ، ورضت الى الخبر الوارد في أن نار فارس خمدت
ليلة ميلاد نبينا وخرجت الى قوله تعالى (إنها ترمي بشرر كالقصر) وقوله سبحانه
(وقودها الناس والحجارة) ثم خرجت الى نكتة نجوية وهي جمع السلامة وجمع التكسير .

فصل

السيف بالضارب لا يمضاه المضارب ، والحسام في يد الجبان كهام ، والكهام في يد
الشجاع حسام ، ولذلك قال عمرو لعمر : لا لوم علي ولا حيف ، فإني لم أفتلك الساعد
وأنا نجتلك السيف .

هذا محمول قوله :

إن السيوف مع الذين قلوبهم
تلقى الحسام على جراءة حده
كقلوبهم إذا التقي الجمعان .
مثل الجبان بكف كل جبان .

إن القنيل مضر جاً بدموعه مثل القنيل مضر جاً بدمائه .
القنيل المتشحط في نجيمه كالعاشق المنخرط في دموعه ، وكلا الماء ين دم الابن
هذا سأل على أصل الخلق ، وهذا صدته ^(١) حرقة الفرقة .

القنيل الذي قطعت شرابين نجيمه أروح من القنيل الذي قطعت شرابين دموعه ،
فذاك قد فارق الدنيا فأمن شرها وخيرها ، وهذا كما نضجت جلوده بدل جلوداً غيرها .

الدمع دم أحالت لونه نار الهوى فايض ، وقطعت سلسكه يد النوى فنبدد وارفص ،
ولا فرق بينهما عند البصر والبصيرة إلا أن هذا يسيل من عضو واحد ، وذاك من أعضاء
كثيرة .

فصل

عذر الخيمة واضح في السقوط ، لأنها علت على مولانا فنأديت له في الهبوط ،
وعلمت عجزها عن أن تشمل من يشمل الزمان ، وأن تعلو على من يعلو على بهرام

(١) في (اللسان) : التصعيد الإذابة ومنه قبلي : خلى مصعد وشراب مصعد اذا
عولج بالنار حتى يحول عما هو عليه طعاماً ولو نأ .

و كيو ان ^(١) ، فأرجاؤها في السعة بحيث ير كض في كل قطر منها جحفل ، ولكنها تضيق عن العالم المجموع في الواحد الأجل ، وتقصّر عنه وتطول على القنا الذبل ، وأظنها لما أشرفت بأنواره ، وتاهت لما عدت من جملة دياره — لم تملك نفسها فخرت و ضعفت ، ورب نفس أفرط عليها الفرح فزهقت ، ولو رزق الناس ما رزقت من الشرف الباذخ البنيان لخانتهم الأرجل وخرّوا سجوداً للجباه والأذقان ، وما سقطت عبثاً وإنما اشارت بالرحيل ، كما أن القصواء ما خلّات ^(٢) وإنما حبسها حابس الفيل .

هذا محلول قوله :

ابقدح في الخيمة العذل	وتشمل من دهرها بشمل ؟!
وتعلو النسيء ، زحل تحته	محال لعمر ك ما تسأل .
تضيق بشخصك أرجاؤها	وير كض في الواحد الجحفل .
وتقصّر ما كنت في جوفها	وير كز فيها القنا الذبل .
رات لون نورك في لونها	كلون الغزالة لا يغسل .
وان لها شرفا باذخا	وان الخيام بها تخجل .
فلا تنكرت لها صرعة	فمن فرح النفس ما يقتل .
ولو بلغ الناس ما بلغت	لخانتهم حولك الأرجل .
ولما أمرت بتطنيبها	اشيع بانك لا ترحل .
فما اعتمد الله تقويضا	ولكن أشار بما تفعل .

وزدت على ذلك ، أظن المشهور وهو أن رسول الله ركب ناقته القصواء في عام الحديبية ، متوجها الى مكة فلم تنبعت تحته فزجرها مرارا ، وزجرها أصحابه فلم تنبعت . فقالوا : خلّات القصواء . فقال النبي : ما خلّات وإنما حبسها حابس الفيل ، وجرى من توقفه عن مكة وصلحه قريشا ما هو مشهور .

(١) بهرام اسم المربخ ، كيو ان زحل . (٢) خلّات الناقة : جرت . قالوا : يقال : خلّات الناقة ، والح الجمل ، وحرن الفرس .

فصل

قصار رماحك اطول من ظلالها ، وطول رماح اعدائك اقصر من زجاجها ونصالها ،
 وكم من رمح قصر فأطلته بخطاك ، وكم من بلد بعد فقر بته بسراك ، وقطرك في الندى
 والردي سيول وبجار ، وعزمتك في الخصوم والعدى نصول وشفار ، وأناملك راجحة
 ولكن خلقت سيوفك من عجل ، فكما نهيتها عن ولوغ الدماء قالت : سبق السيف
 العذل ، وقد بنسب الجاهل حكمتك أحياناً الى تدبير او خداع ، ولا يعلم ان الليث
 لا يأكل الجيفة ولا يفترس الضباع .
 هذا محلول قوله :

- طوال قنا تطاعنها قصار وقطرك في ندى ووغى بجار .
 وفيك اذا جنى الجاني اناة تظن كرامة وهي احتقار .
 وقول السموءل :
 اذا نصرت اسيفنا كان وصلها خطانا الى اعدائنا فتطول .

فصل :

الآراء الصائبة والشجاعة الثابتة تستعبد الصوارم وتستخدم الخازم . فالتدبير أمير
 والشجاعة جنده ، والرأى حسام والصرامة ^(١) غمده ، ولو لم يلحظ هذا المعنى ويعتبر
 لكانت السباع أفضل من البشر ، وطالما نكست الاعلام بالافلام ، ومالكت الاصقاع
 بالرفاع ، ونفذت المكابيد قبل نفوذ الحدائد ، فاذا اجتمع لنفس سعيدة هذان الامران
 نالت أقصى الإمكان ، وبلغت من العليا كل . كان .
 هذا محلول قوله :

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني .

(١) في (الاماس) : رجل صارم ماضٍ في الأمور ، وقد صرم صرامة . وفي (تمهذيب
 الالفاظ) : الصريمة قطع الامر والعزيمة .

- فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكات
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي قبل تطاعن الاقربان
لولا العقول لكان ادنى ضيغم أدنى الى شرف من الانسان

* * *

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له اذا لم يكن في فعله واخلاق
شرف الفتى بافعاله ، لا بحسنه وجماله . كالسيف بقطعه بجوهره ، لا بحسن منظره .
لو كان الفخر بما بدا في الصورة وظهر ، لا بما بطن من المعنى واستتر ، لكانت صورة النارق
أشرف من الحيوان الناطق .

* * *

فصل

حسام لولا تفرق الماء في جوانبه لتلمست النار الموقدة من مضاربه . فقد أضرب به
حب الجماجم والاعناق ، حتى عاد نضوا كالهلال ، وودت سباع الطير والوحش أنها
تفديه بالخالب والانياب اذا فدى غيره بالانفس والاموال ، فاحسن ما خضب به الدم
المار ، لا العسجد والنضار . والحسناء حسناء وهي في الاسمال والاطمار ، واذا كان
الحلي لاتمام النقص يعمل فقشف الافضل انيل ، وعطل الاكمل أجمل .

هذا محلول قوله :

أحسن ما يخضب الحديد به . وخاضبيه التجميع والفضب .

* * *

فصل

فلو كشف لك عن قلوبنا لرأيت الشوق قد فعل فيها ببحائه فعل قنا الامير في
صدور أعدائه . فانه جعلهم هلكى ، يطعنون مخلوجة وسلكى . فالفضاء الرجب لديهم
اخرج من التابوت ، ونسج داود عليهم أوهن من بيت العنكبوت .

هذا محلول قوله :

نودعهم والبين فينا كأنه قواض مواض ، نسج دواود عندها
 قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق .
 اذا وقت فيه كنسج الخدرنق^(١) .
 وفيه أيضا حل قول امرئ القيس :
 نطعنهم سلكى ومخلوجة
 كرك لا مين على نابل^(٢) .

* * *

فصل في وصف منهزم

اجفل اجفال النعام ، واقشع اقشاع الغمام . بنوم كل حفيف يسمعه رشق نابل ،
 ويرى الارض في عينيه كفة حابل . وقد كان آلى الا ينكض له قدم ، ولا يعقب
 يمين الجنان حنث ولا ندم . واذا تزلزلت الاقدام لم تزد اليمين في الاقدام . والحرب
 تحسن الهزائم ، وتغير العزائم ، وتجعل أهون شي ما تقول اللوائيم .
 هذا محلول قوله :

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم ماذا يزيدك في اقدامك القسم؟!
 وقوله :

والعيان الجلي يحدث للظن زوالا وللمراد انتقالا .
 وقول بعض شعراء الحماسة :
 ملأت عليه الارض حتى كأنها من الضيق في عينيه كفة حابل .

(١) الخدرنق : العنكبوت

(٢) السلكى بضم السين الطعنة المستقيمة ، (المخلوجة) المعوجة عن يمين وشمال .
 (كرك لا مين) أي ردك لا مين وهما السهمان على من يرمي . يقال : اذا القيتهما لم
 بقعا مستويين ، وربما استوى احدهما وتعوج الآخر . ويقال : سهم لأم اذا كان
 عليه ريشه .

وقول القائل:

إذا هبت النكباء بيني وبينكم فأهون شيء ما تقول العواذل .

فصل في الصفح عن الجرائم

سيف الاحسان والاحمال اقتل من سيف القتل والاستئصال . وطالما غلّ بدأ
مطلقها ، واسترق رقبة معتقها ، الا أن اللئيم يفسده الاحسان ، ويصلحه الهوان .
هذا محلول قوله : ^{نه}

وما قتل الاحرار كالغفوة عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا؟
اذ انت اكرمت الكريم ملكته وان انت اكرمت اللئيم تمردا .

فصل

إذا كان الهوى من القلب في الشغاف والصميم ، واللوم يحوم حول ذلك الحمى والحريم ،
وكما شاهد الحر فر ، وكما عاين النار استطار - لاجرم أنه يستحيل جوهره هباء ،
ويذهب زبده جفاء ، ويثبت في محله ذلك الهوى ، ويلقي عصاه وتستقر به النوى .
هذا محلول قوله :

عذل العواذل حول قلبي التائه وهوى الاحبة منه في سودائه .
يشكو الملام الى اللوائم حره وبصد حين يلحن عن برحائه .

لا تعذل المشتاق في اشواقه حتى يكون حشاك من احشائه .
لو ذقت ما بذوق العاشق لتركت عذله وعرفت عذره ، ومن يضع يده في الماء
يجد برده ويعرف حره .

تباري نجوم القذف في كل ليلة نجوم له ، منهن ورد وأدهم .
فمازلنا نقطع الأدم الواقف بالدم السائرات ، ونياري الشهب النيزات بالشهب
الطائرات . إلا أن تلك نجوم القذف والرجوم ، وهذه نجوم الغارة والمجوم .

فصل :

عزائمك لا تفل ، وآراؤك لا تضل ، ومدائحك لا تميل ، وأحكامك لا تميل ،
وسيفك شريك المنايا في قبض النفوس ، فهذه لاختطاف الأرواح وهذا لاختطاف
الرؤس . وكل دم لم تحضنه ظباك أصبح مطولاً ، وكل ممت لم تشارك فيه عد خيانة
وغلولا .

تفسيره

هذا محلول قوله :

شريك المنايا والنفوس غنيمة فكل ممت لم يمته غلول .

وقد حل ابن الأثير أبيتنا كثيرة من شعر المتنبي أوردها في (رسائله) و (وشيه
المرفوم) و (مثله السائر) وهذا نموذج منها :
إذا اختلفت العينان في النظر فالعذل ضرب من الهذر (أو) لا تعذل المحب فيما
يهواه حتى تطوي القلب على ما طواه .
هذا حل قوله :

لا تعذل المشتاق في أشواقه حتى يكون حشاك من أحشائه .

القتيل بسيف العيون كالقتيل بسيف المنون ، غير أن ذلك لا يجرد من غمده ،
ولا يقاد صاحبه بعمده (أو) دمع المحب ودم القليل متفقان في التشبيه والتشثيل .
ولا تجد بينهما بونا ، إلا أنهما يختلفان لونا
هذا حل قوله :

ان القتييل .مضرجا بدموعه مثل القنيل مضرجا بدمائه .

لما التقى الجمعان اصطفت يمين وشمال ، وزحفت جبال الى جبال ، وكثرت النفوس
على المنايا حتى كادت لا تنفي بالآجال . واقدمت الخيل اقدام فرسانها ، واظلم النقع . فلا
تبصر الا بأذانها .
هذا حل قوله :

في جحفل ستر العيون غباره فكأنما يبصرن بالآذان :

وكان بها مثل الجنون فأصبحت . ومن جثث القتلى عليها تمائم .
سرى الى حصن كذا مستعيدا منه سبية نزعه العدو اختلاسا ، وأخذها بمساعدة لا
افتراسا . فما نازلها حتى استقادها . ولا نزلها حتى استعادها ، وكأنما كان بها جنون
فبعث لها من عزائمه عزائم ، وعلق عليها من رؤوس القتلى تمائم .
وفي هذا من الحسن ما لا يخفاء به فمن شاء أن ينثر شعرا فليثره كذا وإلا فليترك .
وقد جئت بهذا المعنى على وجه آخر وذلك اني أضفت الى هذا البيت البيت الذي قبله وهو :

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم .

ولما نثرت هذين البيتين قلت :

بناها والأسنة في بنائها متخاصمة ، وأمواج المنايا فوق أيدي البانين متلاطمة .
وما أجلت الحرب عنها حتى زلزلت أقطارها بزكض الجياد ، وأصابت بمثل الجنون
فعلقت عليها تمائم من الرؤوس والاجساد ، ولاشك ان الحرب تعرد^(١) عن عز جانيه ،
ونقول : ألا هكذا فليكسب الجحد كاسبه !

وقد تصرف في هذا الموضوع بزيادة في معناه ونثرته على اسلوب أحسن من هذا
الاسلوب فقلت :

بناها ودرن ذاك البناء شوك الاسل ، وطوفان المنايا الذي لا يقال ساوي منه الى

(١) تهزب .

جبل • ولم يكن بتأوها الا بعد أن هدمت رءوس عن أعناق ، وكأنما أصيبت بجنون
فعلقت القتلى عليها مكان التائم او شينت بعطل فعلقت مكان الاطواق •

* * *

قول موهب في المتنبي

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : « قال في العبر : ليس في العالم أشعر
من المتنبي أبدا ، وأما مثله فقليل • »

ولقد جاء أحمد بن الحسين بما جاء به وهو من تلك القافية وذلك الوزن في سجن •
ولولا هذان لجودت الايام أيما تجويد تسطير ما أملي فلم يقل :
ولم تحسن الايام تكتب ما أملي •

رب ما لا يعبر (الشعر) عنه والذي يضم الفؤاد اعتقاده •
والقافية في أكثر الأحابين هي القائلة لا القائل ، والوزن هو الوازف لا شعور
الشاعر ، فأكثر الشعر ليس لأنه يمكنه للوزن أو للقافية ، انه مما وجد ، ليس هو مما
قصد •

ولولا أن عبقرية منتخبة قوية عند أبي الطيب قد انكرت الجري على أساليب القوم
إذا كان مدح فالنسب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم؟!
فاختطت له تلك الخطة — لا قام دهره من تباع (أبي تمام) يأخذ بأخذه فلا
يجاربه ، وبكدر روحه في أن يصوغ كما بصوغ فلا يساويه ، وحبيب في صوغه وغوصه
لا بلحق ، وقولها ضارع مقلد عظيماً مقلدا •
ولم يستطع المتنبي — على تبريزه وارنقائه — أن يزحزح (حبیباً) عن مكانته ،
وما قدر الا أن يقعد في عرش الشعر معه ، وليس بقليل أن بقنطع من ملك حبيب
ورعيته ما اقنطع •

وقد قالوا : أبو تمام عند الخاصة أشعر ، والمتنبي أشعر عند العامة ، وما أنصف

المتنبي هؤلاء القائلون ، ولئن كان لأبي تمام عشر قصائد علا بهن علواً كبيراً إن
للمتنبي قدامها مئة^(١) قصيدة .

وكان شيوخ ابن خلدون يرون - كما قال - أن نظم المتنبي والمعري ليس هو من
الشعر في شيء - الله أكبر ! - لأنها لم يجريا على أساليب العرب .
وكلام هؤلاء الشيوخ (شفاهم الله) ليس بشيء إلا شيئاً لا يعبا به .
وتنكب المتنبي عما تنكب عنه ، وسلوكه السبيل الذي سلكه ، ما ضاراه بل
ظاهراه في ابداعه ونبوغه ، فرأت العربية أكبر شاعر ، وظهر في العرب شاعرهم .
فدع كل صوت غير صوتي فاني أنا الطائر المحكي والآخر الصدى .

محمد اسعاف الفسائبي

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(١) قال ابن قتيبة في (أدب الكتاب) في باب ما زيد في الكتاب : « ومائة
زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين منه ألا ترى أنك تقول : أخذت مائة وأخذت منه .
فلو لم تكن الألف لالتبس على القارئ » ، قلت : زبدت الألف في مئة أيام لا
اعجاب وواجب في هذا الزمان حذفها حتى لا يضل القارئ اللافظ وكم أضلت هذه
الألف ففتح الميم لافظ المئة ومد ؟